ثوره رمضانية

■ عائشة الطويلي

تأخـرت عنا قليلاً.. وها أنت اليوم تفتح أبواب الروح فتدخل منها نسائم الإيمان تلامس قلوبنا التي علق بها غبار السنين, فتبعد عنها السواد, لننام وقلوبنا نظيفـة وأيدينـا مضيئـة وأجسـادنا منعمـة بمعية الخالق عز وجـل, فأهلاً هلال الخيـر.. قبل مجيئك بلحظات كان العالم يعج بتقاسيم واحتراب.. تتباين في وجوه المارة في الشـوارع المزدحمـة بالبضائع والذخائـر وما بيـن المقيمين في حجـرات المنازل المنهمكيـن بكيفيـة الاسـتعداد والإعـداد, وأولئـك المشـردين في رمضاء التهجير تحت القصف وبعد حـدود الوطـن.. وكل حسـب ثقافتـه وقدراتـه ومـا بين متنـاسٍ لقدومه فينام عن الشـعور ويتجرد من الاحسـاس بقدومه أو معايشـته فلا يكترث لما يدور حولـه من اختـلاف وتغيير, إذ أن صلتـه بذلك اليوم منعدمـة وعلاقته بمـا يجب عليه فعلـه أمام خالقه تكاد تكـون مجهولة.. مـن ينزل إلى الشـوارع وأزقة الأسـواق والمحال التجارية يلقى العجب, متسائلاً: لمـاذا كل هذه الثورة مـن البضائع وتهافـت الزبائن والباعة الجائلين؟ من الزائر يا ترى؟ وما الذي يجعل مـن رمضـان مسـرحاً لهكذا احتشـاد؟ حتـى ربات البيوت لديهـن ثورة مماثلة في الاختـراع والتجديد والإكثـار مـن أطباق رمضانيـة لا تظهر طـوال العام إلا في هذا الشـهر, بينما يتسابق البعض الآخر في مضامين دينية كقراءة القـرآن الكريم لمرات عديدة في أيام وليالي رمضان, والصلاة والذكر والدعاء وكل ما يهم المسـلم من واجبات دينية تقربه من المولى عز وجل.. وبالمقابل, يلهو كثير من الأطفال الصغار والكبـار طـوال ليالي رمضان فـي اللعب وممارسـة ألعاب خاصة بهم لهذا الشهر, وثمة من الأطفال من تتخطفه قنوات التلفزة بمسلسلاتها التي تحفل كل خارطـة برامجية رمضانية بهـا, وكأنها هي الأخرى تشـارك الناس في طقوس وساعات الشهر الفضيل غير أن لعدد من القنوات سـلبياتها في تنمية ثقافة لا تتناسب مع الأطفال وأحياناً لا تتناسب مع الكبار في خصوصيـة الحياة الرمضانيـة ومقاصد الصوم والتقـرب مـن اللـه سـبحانه وتعالى.. الصـورة غير واضحة, في بعـض جزئياتها, إذاً.. وحينها نكون قد افتقدنـا للمعاني الحقيقية لشـهر رمضان الذي هو أفضل الشـهور عند الله وفيه تنزل القرآن على نبي الرحمـة والهداية سـيدنا محمد (ص).. وتأسيسـاً على ما سـبق, يكون رمضـان قد مر علينـا مروراً لم نوفه حقه.. لكن عشـمنا ورجاءنا أبداً أن يتقبل الله عباداتنـا وان قصرت وليضاعف لنا رب السـماء في الأجـر ومثوبة الصـوم والتعبد والاحتسـاب لوجهه الكريـم.. كمـا نسـأله تعالـى أن يصلح حـال البلاد والعباد وأن يكتب لهـذه الأمة كل الخير ويعيدنا في رمضانـات قادمـة مكللين بالنـور والبركـة والتكافل والتسامح والصلاح.. إنه على ما يشاء قدير.

تزدهر بورصتها خلال الشهر الفضيل ويُقبل عليها الذكور والاناث

"إكسسوارات" رمضان .. مسابح ومساويك وكاسيتات وبخور

بخلاف تسابق الأسر اليمنية وإقبالها الكبير على شراء مستلزمات شهر رمضان المبارك من مـواد غذائية وغيرها من المستلزمات الاستهلاكية المرتبطة بالأكلات الرمضانية وعادات وتقاليد المجتمع وتعتبر لدى معظم الأسر من الضروريات خلال الشهر الكريم , إلا أن هناك إقبالاً من نوع آخر على مستلزمات ليست ضرورية كحاجة ماسة في رمضان بقدر ما هي "موضة دينية" وفقا لتوصيف البعض ممن التقيناهم في هذا الاستطلاع , فيما يعتبرها آخرون " مُستحبة ومُكملة لروحانية الشهر الكريم".. غير أن العاملين في بيع هذه المقتنيات لا يهتمون بكونها "موضة" أو"أداة مكملة للعبادة" بقدر اهتمامهم بأنها بضاعة رائجة في موسم رزق وفرت فرص عمل للكثير من الشباب العاطلين عن العمل .. مِن هذه المقتنيات " المسابح, المصاحف , السجاد , كاسيتات الأناشيد والمحاضرات الدينية وتلاوة القرأن , المساويك , البخور والعطورات".

حول هذه الظاهرة أجرى ملحق "الأسـرة" هذا الاستطلاع وخرج بالنتيجة التالية:

■ الأسرة/ عادل بشر

■ 80% نسبة الزيادة في مبيعات المسابح و60% في العطورات والبخور

المسابح

البدايـة كانـت مـع تجـارة "المسـابيح" التي تحتـل رواجـا كبيـرا في رمضـان كونهـا عادة محببـة للتسـبيح وذكـر اللـه تعالـى , فما إن يحل شـهر رمضان حتى تجد باعة المسابيح منتشـرين بكثرة في الشوراع والأحياء , ويقدر باعـة وتجـار المسـابيح زيـادة الإقبـال على بضاعتهم خلال رمضان بنسبة 80% عن بقية أيام السنة.

يقول هشـام الزيلعي وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره أنه يعمل طوال العام على دراجتـه الناريـة , عدا شـهر رمضـان المبارك والأيام القليلة الأخيرة من شهر شعبان ,حيث يتفرغ لاستقبال الشـهر الكريم ببيع المسابح كون الإقبال يـزداد عليها من المواطنين ذكورا وإناثا.

ووفقا لهشـام فإن الإقبال على شراء المسابح أكثر ما يكون خلال الأسـبوع الأول من رمضان ولكنه بعد ذلك يقل تدريجيا حتى يوشك على الاختفـاء قبيل عيـد الفطر المبـارك, موضحا انه بداء ببيع المسـابح في "جولات الشوارع" ولكنـه بعد ذلك قام بتشـكيل قطع حديد على شـكل حلقات واحده فوق الأخرى وترتكز على إطـارات صغيرة ليسـهل دفعهـا والتجوال بها في الشوراع بينما المسابح بمختلف أشكالها وألوانها تتدلى عليها.

بيع بالجملة

فـي الجهـة المقابلة للمـكان الـذي خصصه هشـام لبيـع بضاعتـه من المسـابح فـي باب اليمن , يوجد دكان صغير لا تتجاوز مسـاحته المتر والنصف عرضـا وثلاثة أمتار طولا ولكنه ملـيء بالمسـابح والمصاحـف وكاسـيتات الأناشيد والمحاضرات الدينية.

اقتربنـا منـه وطلبنـا مـن صاحبـه أن يبيعنا إحدى المسـابح , ولكنه رفض وقال انه لا يبيع بـ"الحبـة" وإنما بـ"الجملة" وأشـار بيده إلى فتيـة يتجولون في الشـارع والمسـابح تتدلى من أعناقهم وقال " اذهبوا لشراء ما تحتاجونه منهم".

وبـدا علـى الرجـل انـه منزعـج من أسـئلتنا الكثيـرة ولكنـه حيـن عـرف بأننـا صحافيون ابتسـم وتعذر بانشـغاله في تجهيـز طلبيات لعدد مـن الباعـة المتجوليـن,, ثـم اخبرنا أن اسمه عمر عبدالرحمن مهيوب "50عاما" وانه استأجر هذا المحل حديثا ليمارس فيه تجارته الموسمية المرتبطة بشهر رمضان المبارك.

يقـول مهيوب انـه يمارس هذا العمـل منذ كان مغتربا في المملكة العربية السعودية وحين عاد إلـى اليمن مارس نفس العمل من خلال شـراء باص صغير الحجم وملئه بالمسـابح والمصاحـف والكاسـيتات والتنقـل بـه من شـارع إلى آخر لبيع هـذه البضاعة , وخلال أوقـات الصلاة يتوقف أمام المسـاجد حيث يقـوم بعـض المصلين بشـراء المسـابح أو المصاحف .

وبحسـب مهيـوب فانـه خـلال السـنوات الثـلاث الأخيـرة لجـأ إلـى البيـع بالجملة لأصحـاب الأكشـاك والباعـة المتجوليـن كما أنه خلال شـهر رمضان يقوم بتشـغيل عـدد مـن الشـباب والفتيـة الباحثين عن عمـل وذلـك مـن خـلال توزيـع المسـابح والمصاحـف عليهـم بأسـعار مناسـبة وبحيث يستطيعون بيعها بمكسب لا بأس به وكل بحسب " شطارته" في البيع.

وتتفاوت أسـعار المسـابح – وفقـا للبائع عمر مهيـوب- بيـن 100ريـال و700 ريال بالنسـبة للمسـابح المصنوعة من الخشب والبلاستيك , أما تلك المصنوعة من الفضة فيصل سـعرها إلـى (5 آلاف ريال) وهناك مسـابح مصنوعة من العقيق يصل سـعرها إلى أكثر من عشرين ألف ريال للمسبحة الواحدة.

موظف حكومي

في سـوق الملح أيضا يقـف الأخ عبدالرحمن الحزمـي بعربيتـه الممتلئـة بالمصاحـف الشريفة مختلفة الأنواع والأحجام .

يقـول عبدالرحمن البالغ مـن العمر "35 عاما ومتزوج ولديه 5 أطفال " انه موظف في إحدى المؤسسـات الحكوميـة – فَضّل عـدم ذكرها- وملتـزم بعملـه ووظيفته طـوال العـام وخلال شـهر رمضان وبعد انتهاء الدوام الثالثة عصرا يذهب لممارسـة عمله الخـاص والمتمثل في بيع المصحف الشريف.

ويؤكـد الحزمـي أن الإقبـال علـى شـراء المصحف الشـريف يكون كثيرا خلال النصف الأول من رمضان ثم يقل بعد ذلك مع انشـغال الناس بالإعـداد لعيد الفطر المبارك , موضحا بأنه لا يكسـب كثيرا من وراء هـذا العمل بقدر انه يمارسـه بغرض المسـاهمة في نشر كتاب الله وكسب الأجر.

"طلبت الله"

الأشـرطة والكاسـيتات الدينيـة هـي الأخرى تزدهر تجارتها بمجرد حلول الشـهر الفضيل, وفـي هـذا يقول الشـاب محمد طاهـر القيري –صاحـب عربيـة متحركـة لبيـع الكاسـيتات والأشـرطة الدينيـة- أن شـهر رمضـان يعتبـر موسـما للرزق و"طلبت الله" وفيه تحل البركة في البيع والشراء فيكسب أكثر مما يكسبه في أي شهر آخر .

ويضيف قائلا: (رمضان شـهر الرحمة والبركة وفيه يضاعف الله الحسـنات ويضاعف الأجر , وعمل الإنسـان هو عبادة لذلك من الطبيعي أن تشـمله البركة ويتضاعف الأجر والمكسب خلال هذا الشـهر الكريـم).. موضحا بأن أكثر الأشـرطة والكاسـيتات الدينيـة التـي يـزداد الإقبال عليها خلال رمضان هي "تلاوة القرآن" وكذلك التواشيح والأدعية.

مِن الميلاد حتى الممات

إلـى جانـب مـا سـبق هنـاك أيضـا البخـور والعطورات وهي من الأشياء المستحبة خلال شـهر رمضـان ويـزداد الإقبـال عليهـا مقارنة ببقية أشهر السنة .

وفـي هذا الصـدد التقينـا بـ"أم جميـل" التي تعمـل فـي مجـال صناعـة البخور منـذ أكثر مـن 20 عامـا , حيـث تعلمـت هـذه الصنعـة علـى يـد حماتهـا والـدة زوجهـا بمحافظـة حضرمـوت "الـوادي" ثـم قدمـت مـع زوجها وأبنائهـا إلى صنعـاء اثر كارثة السـيول التي ضربـت محافظتـي حضرمـوت والمهـرة عام 2008م ,لتشـكل صناعة البخـور مصدر دخل مهـم لها ولأسـرتها، تقول أم جميل:" الشـعب اليمنـي معـروف منـذ قديـم الزمـان بحبـه وتعلقـه بالبخـور والعطور فلا يخلـو بيت من "مبخـره" أو " مجمر" وإذا بحثـت في عادات وتقاليـد المجتمـع اليمني سـتجد أن البخور عنصر أسـاس لجميع المناسبات .. منها على سـبيل المثال :" الأعياد والمناسـبات الدينية –المواليـد النبويـة ورمضـان غيرهـا – وكذلك في مناسـبات الـولادة أو الموت والعـزاء وفي الأفـراح ومناسـبات الخطوبة والـزواج وحين قدوم الضيوف وغيرها من المناسـبات الكثيرة والمختلفة"

مضيفـة بالقـول :" خلال شـهر رمضـان وفي الأعيـاد الدينيـة يـزداد الإقبـال علـى شـراء البخور والعطور وخصوصاً من قبل كبار السن ,حيـث يحرصون على التطيـب والتزين طوال شهر رمضان باعتباره مناسبة دينية عظيمة ..

أما في الأشـهر الأخرى فإنهـم يحرصون على الظهـور بأفضـل زينتهم خـلال يـوم الجمعة وأثناء الذهاب إلى المساجد لأداء الصلاة".

ووفقا لبائعـة البخور أم جميل فـإن مبيعاتها مـن البخور تزداد خلال شـهر رمضان بنسـبة 60% عن بقية أشـهر السنة وتزداد النسبة مع حلول عيد الفطر المبارك لتصل إلى 100%.

بنت الصحن

في الجامـع الكبيـر بصنعاء القديمـة كان لنا لقـاء بالحـاج المقـرئ أميـر الديـن القاضي "60عامـا" وقبـل أن نتطـرق إلـى موضوعنـا الرئيس , سألناه : كيف استعد لاستقبال شهر رمضان المبارك؟

فأجـاب ضاحكاً :" بالشُـربة وبنت الصحن".. ثـم أردف قائـلاً:" الحمد لله كشـخص مسـلم محافـظ علـى الفـروض والواجبـات الدينيـة وملتزم بهـا ويراقب الله في كل شـيء ويرجو منـه الرحمـة والمغفرة , تعتبر عنـدي كل أيام السنة رمضان".

وأضـاف الحاج أمير الديـن بقوله " رمضان لا يحتاج إلى اسـتعداد , بل الموت هو من يجب الاسـتعداد له بعمل الطاعـات وإقامة الصلاة وأداء الـزكاة وصـوم رمضـان و..و..و..والخ وكذلك اجتناب السـيئات وكل ما يغضب الله , سـواء في شـهر رمضان أو شـعبان أو يناير أو مايـو أو أي شـهر.. الفـرق يقتصـر في أن لرمضان خصوصية عن سـائر الشـهور ففيه تُفتـح أبـواب الجنـان وتُغلـق أبـواب النيران وتُصفد الشـياطين وتُعتق الرقاب وتتضاعف الحسنات".

مسبحة عمرها ربع قرن

وحول رواج تجارة بيع المسابح والمصاحف والسـجاجيد وغيرهـا خلال شـهر رمضان يقول القاضي :" المسـابح والبخور وغيرها تعتبر عاملاً مسـاعداً للمؤمـن فيما يخص الاستغفار وزيادة الذكر والصلاة على النبي صلـى الله عليه وآله وسـلم, وهي مصاحبة للشخص المسـلم طوال أيام السنة وهذا لا يعنـي أن مـن لا يحمل مسـبحة يعتبر غير مسـلم , إطلاقـا وإنمـا اقصد أن المسـبحة والسـجادة والسواك وغيرها موجودة طوال العام ومسـتحبة طوال أيام السـنة بما فيها شـهر رمضان المبارك ..على سـبيل المثال هذه المسبحة التي في يدي عمرها 25 سنة جلبتهـا معـي من مكـة قبل 25 سـنة ومنذ ذلك الحين وهـي لا تفارقني إلا عند المنام سـواء فـي رمضـان أو غيـره ,, والمصحـف الشـريف موجود في منزلي من يوم خُلقت واقرأه يوميا والحمد لله ,والسـجادة ورثتها عـن والدتي .. هـل يعني هذا أن مسـبحتي قديمـة ويجـب أن اشـتري واحـدة أخـرى حلوة وجميلة "منشان أساير الموضة" .. أو أن سجادتي المهترئه والمرقعة لم تعد تنفع للصـلاة عليهـا؟!! يا بُنـي مـن أراد أن يعبد الله فإن الله موجـود في أي وقت وأي زمان وأي مـكان طاهر.. وإخـلاص العبادة لا يتم بالمسـبحة الذهبية ولا بالسجادة الناعمة وإنمـا بالقلـب النظيـف الـذي لا يحقد ولا يكـره ولا يتآمـر ولا يحسـد ويحـب لأخيـه المؤمن ما يحبه لنفسه".

موضة

ويضيـف الحـاج أمير الديـن قائلا:"أنـا وأنت وهـذا وذاك والجميع لا نعلـم الغيب ولا نعرف إن كان هذا الشـاب أو ذاك اشـترى المسـبحة الجميلـة والرائعة وفـي نيته أن يسـتعين بها في الاسـتغفار والذِكر, أم بغـرض التلاعب بها في يده ولفت أنظار المارة في الشارع , ولكنني مـع أن يعتـاد الشـباب على حمل المسـبحة لأنها في لحظة ما قد تُذكره بالاسـتغفار وذكر الله سـبحانه وتعالى, وهذا هو سـر كون حمل المسابح مستحب في رمضان وغيره".

موسم رزق

ويختتم الشـيخ أمير الديـن القاضي حديثه معنـا بقولـه :" رمضـان هـو شـهر الخيـر والبركـة يبـارك الله فيه جميـع الأعمال وهو موسـم رزق لكثيـر من فئـات المجتمـع بما فيهم بائعي المسـابح والمصاحف والبخور وغيرها , وهذا حكمة وفضل من الله سبحانه وتعالـى وذلـك لما يتطلبه شـهر رمضان من زيادة فـي المصروفـات وكذلـك احتياجات عيـد الفطر المبارك التي تشـكل هما للكثير من الأسـر خصوصا مع غلاء الأسعار وضيق المعيشة ".